كلمة باسم أحباب مدينة بسكرة في الزيارة السّنويّة لتماسين

2019-04-05

الحمد لله الذي رَوَّح قلوبَ المحبّين. بالنّظر إلى بهاء جمال الكُمَّل الوارِثين. وهَيَّج سبحانه أسرارهم بالشَّوْق إلى أحبابه. ثم أَبْرَدَها بفضله وكرمه إذ جَمَعَهم بهم على بابه. فاستنارت بتلك النّظرةِ قلوبُهم. ونَشِطت بذلك للعبادة أعضاؤهم.

ونسأله تعالى أنْ يُصَلِّيَ ويُسَلِّمَ على سيِّدِنا ونبيِّنا ومولانا محمدٍ بهجةِ الكمال. وسِرِّ كلِّ جمال. نُورِ كلِّ نُورٍ وسَناه. وسِرِّ كلِّ سِرٍّ وهُداه. صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه. وعلى آله الأطهار. وصحابته الأخيار. ما تعاقب الليل والنهار.

وقَدِّسِ اللهم رُوحَ شيخِنا صاحِبِ الطريق. والوارِثِ المحمّدي على التّحقيق. القطبِ المكتوم. والبرزخِ المختوم. والختمِ المحمّدي المعلوم. الغَوْثِ الصَّمَداني. سيِّدِنا ومولانا أبي العباس أحمد بنِ مَحَمَّدِ التجاني. سقانا الله والمحبّين من كَوْثره العِرفاني. بأعظم الأواني. وجمعنا معه في دار التهاني.

اللهم نَوِّرِ رَوْضتَهُ الشّريفة. وأَعْلِي اللهم مقاماتِهِ المُنيفة. فرضي الله عنه. وعن خليفتِهِ المُؤَيَّد بالبراهين. القطبِ الجامِع. سيِّدِنا ومولانا الحاج علي بنِ الحاج عيسى صاحبِ تماسين. وعن خلفائهما ومحبّيهما إلى يوم الدين. اللهم انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زُمرتهم. ولاتخالِف بنا يا مولانا عن سُنّتهم ولا عن طريقتهم. اللهم آمين.

أمّا بعد: مولانا الخليفة: بتحيّة الإسلام سيّدي أحيّيكم. في هذه الساعة المباركة، تحيّة خالدة، ثابتة لازمة، فسلام الله عليكم سيِّدِي. تعمّكم نفحاته. ورحمة الله وبركاته،

ورضي الله عنكم سيّدي وأرضاكم. ورضي الله عنّا برضاكم. ففي رضاكم رضى الباري وطاعته. أمدّ الله في عمركم المبارك. لأجل هذه الأمّة المحمدية. وأقرّ الله عينَكم بأهلكم وذويكم. ومحبّيكم والمنتسبين إليكم. وأدخل السرور على قلبكم الكريم بما تحبّونه منهم. إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

مولانا الخليفة: بعد إذنكم سيّدي. واستمدادا من فيضكم ومددكم الساري. أستسمحكم وأهنّئ هذا الجمع الكريم. بهذه الزيارة المباركة السعيدة. في دار مولانا الإمام التماسيني رضي الله عنه وأرضاه. ونفعنا به وبرضاه. وزاد دارَه وزوّارَه وأحبابَه تشريفا وتكريما.

هذه الزيارة إنّما بوركت لمّا ساقنا الله إلى الجلوس بين أيديكم. لمّا شرّفنا الله بفضله الكريم. فأنعم علينا في هاته اللحظات نعمة لو تحقّقت القلوب بمعناها لخرجت الأرواح إلى باريها. ولكنه الحجاب الذي جعله الله رحمة للعباد.

أيُّ فضلٍ. وأيُّ عظمةٍ. وأيُّ نِعمةٍ. أجلّ وأعظم مِن أن يسوقَ الله سبحانه وتعالى عبده الذليل الحقير المقصِّر. فيُوقِفَه بين يَدَيْ وَلِيٍّ كاملٍ من أولياء الله تعالى. وارثٍ كاملٍ لجدّه صلواتُ ربي وسلامه عليه. النظر في محيّاه الكريم يُحْيِي القلوب.

أُنْظُرْ تَرَى شَمْسَ النُّبُوَّةِ أَشْرَقَتْ * مِنْ نُورِ جَبِينِهِ الْبَهِيِّ الْأَمْجَدِ

كُلُّ الْمَشَايِخِ أُلْبِسُوا حُلَلَ الْبَهَا * لَكِنْ سَمَاهُمْ بِالْجَمَالِ الْأَحْمَدِي

رضي الله عنكم سيّدي وأرضاكم.

((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)). ((ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)).

مولانا الخليفة. أيّها الأحباب: إنّه ليعانقنا سرورٌ كبير. وفرحٌ عظيم. في هذا اللقاء المبارَك، الذي ننتهزه فرصة سانحة. نُجدِّد فيها محبّتنا وعهدنا وصِلَتنا الروحية والفكرية بدار سيّدنا ومولانا الإمام الحاج علي التماسيني رضي الله عنه. مؤكِّدين وَلاَءَنا لهذه الطريقة الأحمديّة المحمّديّة الإبراهيميّة الحنفيّة التّجانيّة. التي ارتضيناها لأنفسنا منهجا رشيدا للحياة الروحية.

وانطلاقا من قناعتنا الراسخة. وإيمانا منّا بأنّ المنهج الذي أَرْساه شيخُنا ووسيلتُنا إلى ربِّنا سيِّدُنا ومولانا أبو العباس أحمد بنُ مَحَمَّد التجاني. رضي الله عنه، هو السبيل الأمثل لمعالجة الإشكالات الراهنة. والأزمات المُزْمِنة. التي تعاني منها أُمّتنا، هذا المنهج الذي كان رمزا من رموز الإصلاح والتجديد. والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، مع التّمسّك التّامّ. والإلتزام الصّارِم. بهديِ النبيّ صلى الله عليه وسلم.

فلهذا جاءت طريقتُه رضي الله عنه مُشَيَّدة على الكتاب والسنّة، فكانت إرشاداتُه للأتباع وتوجيهاتُه لهم كلها إشارات إلى آيات الكتاب وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، يَجيء ذلك في بعض الأحيان تصريحا، كما يجيء في أحيانٍ أخرى تلويحا. وقد كانت هذه الإرشادات ذات جوانب متعدِّدة، يمكن أن نُجمِلَها فيما يلي:

1- ما يتعلّق بالحثّ على الإقبال على الله تعالى وإصلاح القلب: بمداومة الأذكار. وإقامة الفرائض. والإكثار من نوافل الخيرات.

2- ما يتعلق بالحث على مكارِم الأخلاق. ومحاسِن الشِّيَم. والوفاء بحقوق المسلمين. وتقوية الروابط بينهم.

3- ما يتعلّق بتحرّي الحلال في المأكل والمَلبس والمسكن. واجتناب مُحرَّمات العقود والمعاملات.

مولانا الخليفة. أيّها الأحباب: فالتجانيّون جميعا ينتسبون إلى طريقة واحدة، إلى منهج واحد. هو منهج الشيخ سيدي أحمد التجاني. رضي الله عنه، وإِنَّ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ نَبِيُّنَا صلى الله عليه وسلم فِي آخَرِ الزَّمَانِ: كَثْرَةَ الْفِتَنِ وَفُشُوَّهَا وَانْتِشَارَهَا وَاسْتِطَالَةَ شَرِّهَا، وَقَدْ أَعَانَ عَلَى ذَلِكَ كَثْرَةُ الشُّبُهَاتِ الْمَبْثُوثَةِ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ وَفِي شَبَكَاتِ الإِنْتَرْنِتِّ، والمريد التجاني لا ينبغي أن يكون فتّانا. أو مُتَّبِعا لعَوْرات المسلمين. وخاصّة إخوانِه الأحباب المنتسِبين للطريقة التجانية. فالتنقيبُ عن عَورات المسلمين يُوغِر القلوب، ويُورِث صاحبَه السَّخَط من الله علاّم الغيوب. ويكشِف للخاصّ والعامّ ما فيه من عيوب. ففي الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ:((يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ. وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ. وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ)).

فَالسَّعِيدُ مَنْ جُنِّبَ هذه الْفِتَن وَحَذِرَهَا، وَالشَّقِيُّ مَنْ تَشَرَّفَ لِلْفِتَنِ وَطَلَبَهَا، رَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ. وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا)). أيْ هنيئاً له. نسأل الله السلامة والتوفيق. والتّمسّك بحبله المتين، والعضّ بالنواجذ على سنّة رسوله الأمين، صلّى الله عليه وسلّم.
مولانا الخليفة. أيّها الأحباب: نحمد الله تعالى الذي أكرمنا أن كنّا على مذهب إمام أهل مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم. وعلى عقيدة أهل السنّة والجماعة. وعلى التّصوّف السّنّي الصحيح. بتجديد ومدد شيخنا سيّدِنا ومولانا أبي العباس أحمد بن مَحمد التجاني. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومَشرب الإمام القطب مولانا التماسيني. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومِن هذه المُنطلَقات لابدّ أن نَشعر نحن أهل الطريقة التجانية بجسامة مسؤوليّتنا. فنكون أحسن السفراء لهذا المنهج القويم. وأن نجسّد ذلك في واقعنا. في ما بيننا. وأن

نجسّده مع الآخرين كيفما كانوا. وبذلك نكون قد فهمنا عن مشايخنا وعن أسلافنا مرادَهم من الزيارة حالا ومقالا. زمانا ومكانا، وَلْنُلازِم الحمد والشكر أن وفّقنا الله سبحانه وتعالى فجعلنا في هذا المنهج القويم. وفي هاته الطائفة الصالحة. التي هيّأ الله لها قادة صالحين مصلحين.
أيّها الجمع الكريم: لا يفوتني أن أتقدّم بخالص مشاعر المحبّة والإعتزاز. وأصدق آيات الشكر والتقدير والإمتنان. إلى اللّجنة التحضيريّة الوِلائية في إطار البرنامج المسطَّر من طرف مولانا الخليفة الشيخ سيدي محمد العيد التجاني التماسيني أيّده الله. على تلك الجهود التحسيسيّة التي بذلوها على إنجاح فعاليّات هذه الزيارة السنوية. وتحت مباركة مولانا الخليفة. حفظه الله ورعاه. وسدّد خطاه، وقوّاه على حمل أعباء هذه الطريقة.
وفي نهاية هذه الكلمة: نسأل الله الكريم. بجاه نبيّه العظيم. عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. أن يحفَظَ بما حفِظ به الذِّكْر الحكيم. شيخَنا وسيِّدَنا. وكَهْفَنا ومَلاذَنا. وقُرَّةَ أَعْيُنِنا. خليفةَ السجادة التماسينيّة. الدكتور سيدي محمد العيد التجاني التماسيني. وتَجَلَّى اللهم عليه بجميل صفاتِك. وبهاء نُعُوتِك. وبَرَكَةِ أسمائِك. اللهمّ احْفَظْهُ بحِفْظِك. وَارْعَاهُ برِعايَتِك. وَاكْلَأْهُ بعِنايَتِك. واجْعَلْهُ في لُطْفِك. يا ذا الجلال والإكرام. وبارِك اللهمّ لنا في عُمُره. وجازِهِ اللهمّ عنّا خَير الجزاء. وحَقِّق اللهمّ رجاءَنا فيه ورجاءَهُ فينا. برحمتك يا أرحم الراحمين.

أكرمتَنا يا ربَّنا بالجلوس بين يديْه. وزيّنتَنا يا ربّنا بالإنتساب إليه. وشرّفتَنا في هذه السّاعة المباركة بالنّظر إليه. اللهمّ كما جَمَعْتَنا به في الدنيا لا تُفَرِّق بينَنا وبينَه في دار كرامتك. يا أكرم الأكرمين. اللهمّ اجعل لنا حظًّا في قلبه. اللهمّ اجعلنا كما يحبّ. حتى نُدخِل السُّرور على قلبه الشريف. وَاجْزِهِ اللهمّ عنّا أفضلَ ما هو أهلُه.

اللهم إنّا نسألُك أَنْ تُدِيمَ علَى بلدِنا الجزائر خاصّة. وعلى بلاد المسلمين عامّة. أَنْ تُدِيمَ نِعمةَ الإتّحادِ والأمنِ والإزدهارِ، والعِزّ والرّخاءِ والإستقرارِ، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين.

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا)). اللهمّ آمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله على سيِّدِنا محمدٍ الفاتِح الخاتِم. وعلى آله وصَحْبه. حقّ قدْره ومِقداراه العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

خديم أعتاب التجاني: سليم بن الطاهر رحموني

إمام خطيب ومدرِّس بمسجد التجانية بمدينة بسكرة

-الجزائر-